ثنائية التآلف والتخالف اللفظي وأثرها في التكوين اللغوي

Dualism and verbal dissonance and their impact on linguistic formation

أ.م.د. عمر محمد عوني عبد القادر*
Assit. Pro Dr. Omar Mohammed Awni A.B.
dr.omar.mohammed.awnie@uomosul.edu.iq
ORCID: ٠٠٠٠-٠٠٠٢-٦٥٩٨-٧٦٨١

الملخص

لن يتكون أي نظام الا وفق علاقات مقبولة ومترابطة ببعضها بمنطق متوازن وتام، ومن ضمن هذه الأنظمة الكثيرة النظام اللغوي، وهو كفيل بأن يترتب ويتقعد بقوانين ثابتة، تبدأ بالنظام الصوتي ثم الصرفي فالنحوي وهي جميعها مكونات للمعنى، وهذا النظام اللغوي قد ترتب بثنائيات ثلاث تشمل كل عناصر اللغة، وهذه الثنائيات هي ثنائية(التآلف مع المتشابه) و (التالف مع غير المتشابه، أو التخالف مع المتشابه) و(التخالف مع غير المتشابه)، وتتحدد هذه العلاقات اللغوية وفق مبدأ التجاور عندما تلتقي في سلسلة الكلام، فالتآلف هنا يعني التشابه بين الوحدات اللغوية في الصفة و المخرج أو النوع أو يعني التجاور وعدم التنافر، أما التخالف فهو عدم التشابه بين الألفاظ، أو التنافر عندما تتجاور بينها، فقد يُكوّن التآلف تآلفا فلا يحتاج الكلام الى تغيير أو عدول، أو يشكل التآلف تخالفا وتنافرا ، فيعدل عن الأصل للخلاص من الثقل، وقد يعدل عن الأصل أيضا عندما يتجاور مختلفان فيتنافران، وربما يتآلف مختلفان وحينئذ لا يحتاج خروج وعدول عن الأصول، أما التآلف والتخالف المعنوي في الثنائيات الثلاث،

* كلية التربية للعلوم الانسانية/ قسم علوم القرآن الكريم.

فهو يتحدد بالعلاقات المعنوية فقط، فتتقارب الألفاظ لتقارب حروفها، أو تتقارب لتخالف حروفها ، أو تتخالف لتخالف الحروف، أو تتخالف لتقارب الحروف بينها.

الكلمات المفتاحية: اللغة، التخفيف، الثقل، التآلف ، التخالف

Bstract:

Any system is formed according to acceptable and cohesive relations and in a complete balanced logic. Out of these systems is the linguistic one. It is arranged and structured, starting with phonology, morphology and syntax respectively. The system is arranged into three binaries including all the linguistic elements. These binaries are similarity, differences and similarity-difference. The linguistic relations are specified according to the principles of adjacency when met in speech.

The similarity refers to the common features between linguistic units in description, types. As for the difference, it refers to the dissimilarity between utterances. So, with similarity, no need for changing the utterance. Or the similarity can be different so it changes from the original to a different forms. Sometimes, two different forms might be similar as such no need to change from the origin. The meaningful similarity and difference of three binaries are specified through meaningful relations, so the utterances become almost similar due to the similarity of the letters or to the differences of the letters or the utterances become different due to the similarity of the letters.

Key wards: Language, mitigation, weight, damaged, skewness

معنى التآلف والتخالف لغةً واصطلاحاً:

آلف: وهو انضمام بين شيئين أو أكثر، ومنه الألفة[١] وهو الايناس بالشيء[٢] بعد اجتماعه والتئامه [٣]، وسمي العدد ألفا لإجتماع الأعداد فيه وكثرته [٤] وهذا الانضمام والاجتماع يوحي بالتقارب وعدم التنافر بين الشيئين وفي الاصطلاح، الألفه: هي الإئتلاف [٥]، والألفه: تختلف بنسب معينة، فربما جزيئة أو أكثر أو كاملة كتطابق الشيئين مع الاتحاد والتداخل .

فالمقصود إذاً بالتآلف هو الألفة والتقارب بين الصوتين أو اللفظتين لعدم وجود التنافر بينهما أو التقارب المعنوي بين الكلمات، فتتقارب الألفاظ عند تجاورها وتتآلف، فالتآلف إما بالتجاور أو بالمعنى إن كانت كلمة وسنبين ذلك إن شاء الله تعالى.

والتخالف: هو التضاد بين الشيئين وتعاكسهما، ويقال: إن فلاناً خلف عن القوم: أي تباعد عنهم وتأخر وخلّف الشيء: أخّره وتركه واختلف ضد اتفق، وخالف عنه: بَعُد، والخلاف بمعنى المخالفة، [٦] .

فالتخالف إذاً هو أن تتخالف الألفاظ وتنفر عن بعضها لعدم القدرة على التجاور لأسباب عديدة كصعوبة التجاور بسبب عدم تمكن اللسان من النطق بالصوتين المتجاورين لوجود ثقل عليه أو امتناع النطق وعدم القدرة على التواصل لأسباب في نوع الصوت أو الكلمة سنذكرها فيما بعد .

التأثير والتأثر بين الألفاظ، ونشوء التآلف والتخالف:

يؤكد علماء اللغة قدماء ومحدثون بوجود ظاهرة التأثير والتأثر بين ألفاظ اللغة ، وتختلف نسبة هذا التأثير من صوت الى آخر أو من لفظة الى أخرى؛ لأن من الأصوات ما يكون سريعاً في التغيير أو الاندماج مع غيره، ومنها ما يكون قوياً لا يتغير بسهولة، ويحدث هذا بسبب المجاورة بين الأصوات[٧].

إنّ العرب أصحاب السليقة كانوا يكرهون توالي الأصوات المتماثلة ويألفون توالي الأشتات، فيعدلون عن أصلها الى مخرج الصوت الآخر أو عن بعض صفاته[٨] ويحدث هذا عند تجاور الأصوات فتتأثر بينها بحسب طبيعة الصوت صفة ومخرجاً، لكن قد يحدث عكس ذلك، فقد تتوالى الأصوات المتقاربة

---

(١) ينظر: العين, الخليل بن أحمد الفراهيدي:٢/٧٦.

(٢) ينظر: لسان العرب، ابن منظور: ٨٣.

(٣) ينظر: المعجم المعاصر، د. أحمد مختار عمر: ١/١١١.

(٤) ينظر: الصحاح في العربية، الجوهري: ٥/٢٠٣٠

(٥) ينظر: الكليات،العكبري: ١٩.

(٦) ينظر العين:٣/٣٧

(٧) ينظر: الأصوات اللغوية، ابراهيم أنيس: ١٧٩، والدراسات الصوتية عند علماء التجويد، غانم قدوري: ٣٢٧.

(٨) ينظر: الأصول دراسة أبيستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب: د. تمام حسان: ١٣٥.

فتتجاذب وتتآلف، فمثلاً عند تجاور التاء المتحركة مع الدال الساكنة وهما من المخرج نفسه، فيلجأ النطق الى قلب الدال تاء، ثم الادغام، فنقول في: قعدتُ: قعتُّ[١].

فالأصوات المتقاربة والمتجاورة في الكلام المنطوق قد تتفاعل كأنها تحمل شحنات كهربائية، فالتلاقي والتقارب يولد تغييرات مفاجئة مختلفة فتكتسب الأصوات بعض الخصائص الجديدة مستجيبة للسياق الذي تنشأ فيه[٢] وهذا يولد تغييراً في المخارج والصفات للأصوات للوصول الى الاتفاق والتوافق، فالأصوات يحدث بينها ما يسمى بالشد والجذب، فإذا تقارب مثلاً صوتان وحدث بينهما ثقلاً بسبب نوع المخرج أو الصفة فيحاول كل من الصوتين الجذب أو التأثير على الآخر لقوة أحدهما وضعف الآخر، فيقلبه صوتاً منسجماً وملائماً معه حتى يتمكن الصوتان من النطق بعيداً عن الثقل أو الامتناع النطقي[٣].

وبناء على ذلك فإن هناك قوانين وقواعد تحكم العلاقات الصوتية وتهدف الى تسهيل النطق وتيسيره بعد تخليصه من الصعوبات والانحرافات النطقية المشوِهَة للكلام وابعاده عن الشد العضلي الذي يولد إجهاداً، وهذا لا يحدث الا في تتابع الأصوات في آلية منظمة وارتباطات وفق قواعد واسعة[٤].

إن التأثيرات الصوتية تتميز بالسرعة في القلب والتبديل، وإن السياق يكون محدداً لهذه العملية، فالتجمع الصوتي المحدد في التعبير من نوع الأصوات يخلق تغييراً قد لا يكون موجوداً في تجمع صوتي آخر؛ لأن هذا الصوت ورد في ظروف وسياقات تختلف بإختلاف المتجاورات الصوتية الأخرى له [٥]، فالانسجامات الصوتية هي ظاهرة بارزة في اللغة، فالكلمة اذا تركبت من أصوات متباينة قد تتغير للتقريب بينها فيحصل التأثير والتأثر، وهذا هو مصدر التغيير الصوتي الواسع في النظام اللغوي[٦].

والتأثيرات تحدث في الحركات والحروف والكلمات، فالحركات يحدث بينها تأثيرات وتغييرات إن حدث صعوبة في النطق أو امتناع وهذا كثير وواسع في اللغة، منه ماهو قياسي يحدث لقاعدة صوتية أو صرفية، ومنه مايكون سماعياً يختص بلهجة معينة ولذلك فقد أفرد ابن جني في الخصائص بابا وسمه بهجوم الحركات بعضها على بعض وحدده بالمقيس وغير المقيس[٧]، أما في الحروف فيكون التأثير

---

(١) ينظر: اللغة معناها ومبناها،د. تمام حسان: ٢٦٢.

(٢) ينظر: علم اللغة، علي عبدالواحد وافي: ٢٩٨، وعلم اللغة مقدمة للقارئ العربي، د. محمود السعران: ٢٠٠، والتعادل والتعادل في العربية، دراسة صوتية صرفية نحوية، ابتسام ثابت محمد:٢٢.

(٣) التطور اللغوي، مظاهره وعلله وقوانينه، د. رمضان عبد التواب: ٢٢.

(٤) ينظر: اللغة، فندريس: ٧١.

(٥) ينظر: التطور اللغوي، مظاهره وعلله وقوانينه: ٢٢.

(٦) ينظر: بحوث في اللسانيات، الدرس الصوتي الغربي، المماثلة والمخالفة وظواهرها في العربية الفصحى، د. جيلالي بن يشو: ٢٤ .

(٧) الخصائص: ٣/ ١٣٨، وأثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، د. عبد الصبور شاهين: ٢٣٢.

والتأثر واسعاً أيضاً، فعند تجاور الحروف المنطوقة تؤثر بعضها على بعض، نتيجة تفاعل الأصوات بينها مما يؤدي الى حذف بعضها أو ابدالها أو ادغامها أو امالتها أو اتباعها تبعاً للقوانين الصوتية، وذلك لتيسير النطق وتقليل الجهد في الكلام[١] ويحدث التأثير ذاته بين الكلمات عندما تأتي متقاربة مع الأخرى في نظم الكلام فقد لا تنسجم بعض ألفاظ التشكيلات اللغوية لأسباب مختلفة أشار اليها النقاد العرب القدامى، وهي جزء من فصاحة الكلام وجماله منها تباعد مخارج الأصوات بين اللفظتين المتجاورتين وأن تكون الألفاظ غير وعرة ولا وحشية وكونها ذات حروف قليلة متوسطة، فإن خروجها عن تلك المقاييس سيخرجها عن دائرة القبول اللغوي والتعبير السليم[٢] ولذلك عُدَ بيت أبي تمام خارج عن فصاحة الكلام في قوله[٣]:

كريمٌ متَى أمدَحُه أمدَحُه والوَرَى مَعِي ومَتَى مالُمْتُه لُمْتُه وحْدِي

فالتكرار المتجاور بين لفظتي (امدحه، ولمته) شكل تنافراً ذوقياً في البيت، ونبا اللفظ عن الجمال والقبول المؤثر في النفوس وقد أشار الجاحظ قديماً الى هذه الفكرة وذكر أن هناك تأثيراً وتأثراً بين ألفاظ البيت الشعري فقد لا تنسجم لفظة مع أختها فيحصل ما يسمى باستوحاش الشعر وضعف نظمه[٤].

فكرة ثنائية التآلف والتخالف بين ألفاظ اللغة:

تخضع ألفاظ اللغة جميعها من حركة أو حرف أو كلمة تحت نوع من أنواع الثنائيات التي سنذكرها، فاللفظ عندما يتقارب مع آخر، أو يتجاور يشكل تعبيراً يبرز به المواقف والأحداث التي يقصدها المتكلم وهي حالة طبيعية لتشكيل أي جملة ذات معان مختلفة، وهذا التشكيل هو الحالة الطبيعية للسلسلة الصوتية المتتالية، لكن قد لا ينسجم عدد من الأصوات مع بعضها مما يؤدي الى انعدام الذوق النطقي والسمعي في الكلام[٥] ولذلك فقد يتحتم على الأصوات اللجوء الى طرائق أخرى متعددة أصبحت ظواهر لغوية متنوعة، لأن بقاءها على ذلك يؤدي الى التخالف والتنافر بينها، ذكر الرماني (ت ٣٨٤هـ) أن التنافر والتخالف سببه قرب الأصوات الشديد أو بعدها الشديد عن بعضها، فإذا بعد الصوت عن مجاوره كثيراً في مخرجه وصفته كان كالطفرة الشديدة وإذا قرب قرباً شديداً كان كالمشي المقيِد للسان لذلك يلجأ المتكلم الى الاعتدال في ذلك[٦].

---

(١) ينظر: التطور النحوي للغة العربية، برجشتراسر: ٢٨، ٣٣، والأصوات اللغوية، د. ابراهيم أنيس: ٢٦٨-٢٦٩، وفي البحث الصوتي عند العرب، د. خليل ابراهيم العطية: ٦٥.

(٢) ينظر: سر الفصاحة، ابن الاثير: ٦٦.

(٣) ينظر: شرح ديوانه، أيليا الحاوي: ٢٣٩.

(٤) ينظر: البيان والتبيان: ٦٦- ٦٧.

(٥) ينظر: في البحث الصوتي عند العرب، د. خليل ابراهيم العطية: ٧٦.

(٦) ينظر: النكت في اعجاز القرآن: ٨٧-٨٨.

وذكر ابن جني (ت ٢٩٣هـ) أن أحسن التآلف إن تباعد الحرفين أو الصوتين، ويقبح اجتماع الحرفين المتقاربين في مخرجهما وخصوصاً الحروف الحلقية، ولذلك قلّ ذلك[١]، مما سبق يتضح لنا أن بُعد المخرج أو قربه مع صفة الصوت السبب في تآلف الأصوات وتخالفها اذا تجاورت مع طريقة التشكيل الصوتي، فالأصوات اللغوية لها (١٦) مخرجاً[٢] ولكن تحديد مخرج الحرف ليس كافياً في اكتمال خصائصه النطقية الذي يميزه عن الصوت الآخر في السماع[٣]، فيعتمد إذاً الصوت أيضاً على اعتراض الهواء القادم من الرئتين وعلى طريقة ابرازه من الأعضاء الكلامية وعلى صفته الجهرية أو الهمسية[٤]، فالتنافر والتخالف بين الصوتين ينشأ بسبب ما ذكرناه من خصائص الصوت فقد تتشكل صعوبة في نطق صوتين متتاليين أو امتناع بسبب طبيعة الجهاز النطقي في التنقل في اللفظ من صوت الى آخر، ذكر سيبويه في ظاهرة الادغام أن النطق بالصوت من وجه واحد هو أخف من النطق بوجهين كما أن رفعك للسان من مكان واحد هو أخف، ولذلك يدنون الصوت من الآخر ويدغمون[٥]، ويتأثر هذا أيضاً بطبيعة الأصوات الأخرى المتجاورة مع هذين الصوتين فإذا كانت صفتها أقوى من الصوت الآخر الذي تأثر بالمتجاور معه ربما يغيره الى صوت آخر ليسهل النطق بهما.

من ذلك نلحظ أن هناك تآلفاً وتقارباً بين الأصوات اللغوية، وأن هناك تخالفاً وتنافراً يشكله السياق النطقي، وقد تحدث علماء العربية كثيراً عن هذه الظاهرة وسموها المماثلة والمخالفة[٦]، ولسنا نريد هنا في في هذا البحث أن نعيد هذه الفكرة لكننا سنتناول فكرة جديدة في ترتيب العلاقات الصوتية واللفظية مع بعضها، وهي تشمل كل ألفاظ اللغة بثنائيات ثلاث، وكذلك فإن مصطلح التآلف والتخالف يعتمد على مبدأ التشابه والاختلاف، فالتشابه أو التطابق بين الأصوات أو الألفاظ كما ذكرنا في التعريف اللغوي هو تآلف، قالوا إئتلف القوم: توافقوا واتحدوا وتماثلوا، وتشابه الأمران، صار الأول مثل الآخر حتى التبس كل منهما مع الآخر[٧]، فالألفاظ اللغوية إذا تشابهت من وجه ما فهي متآلفة ومثل ذلك في التخالف،

---

(١) ينظر: سر صناعة الاعراب: ١ / ٧٥.

(٢) ينظر: الكتاب: ٤/٤٣٣.

(٣) ينظر: محاضرات في اللغة: ٩٤.

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٩٤ .

(٥) ينظر: الكتاب: ٤/٤٣٣.

(٦) مثلاً: التطور النحوي للغة العربية: ٣٣، والتطور اللغوي، مظاهره وعلله وقوانينه:٣٧، وعلم اللغة بين القديم والحديث، والحديث، د. عاطف مدكور: ٢٤٨.

(٧) ينظر: المعجم المعاصر:١/١١١، والمعجم الرائد، جبران مسعود: ٧٦.

فالتخالف هو أن تجمع بين شيئين مختلفين[١]، فاللفظان إن كانا مختلفين في الشكل أو النوع فهما متخالفان، هذا في الحقيقة العامة لكننا سنرى في اللغة اختلافاً في هذه الفكرة أو الحقيقة، فلا يشترط دائماً وجود تآلف بين المتشابهات وعلى العكس لا يشترط دائماً وجود تخالف بين المختلفات؛ لأن اللغة تعتمد على مبدأ الخفة والثقل وعلى قانون القدرة على استمرار العملية النطقية، فهي دائماً تتخلص من الثقل في النطق ومن عدم القدرة على التواصل النطقي، فاللفظان المتشابهان والمتآلفان قد ينشأ بينهما تنافر وثقل أو تآلف وتجاذب وعكسه فإن اللفظين المختلفين قد يتآلفان أو يتخالفان أو ربما يكون التآلف أو التخالف جزئي فقد تتآلف الأصوات أو الألفاظ في الصفة واختلاف في المخرج وبالعكس، أو قد تتقارب الألفاظ أو الكلمات، وتتحد في حرف أو حرفين، وتقترب وتتآلف المعاني أو قد لا تتآلف وهكذا ومثل ذلك قلب التاء ذالاً ثم الادغام في قولنا: اتذَكَر: اذّكر[٢]، فالتاء والذال مهموسان فحدث بينهما تقارباً وتآلفاً .

نستخلص مما سبق أن التآلف يكون إما بالتشابه بين اللفظين أو بالتجاذب والتجاور، وأما التخالف فيكون إما بعدم التشابه والتطابق بين اللفظين وإما بالتنافر والتباعد ويحدث هذا بالحركات أو بالحروف المصوتة أو بالكلمات، فالفتحتان في كلمة كَتَب مثلاً متآلفتان من وجهين، الأول: هو التشابه بينهما، والثاني: هو التقارب وعدم التنافر، وفي صوتي الكاف والتاء أو التاء والباء وجود تقارب ومجاورة وأخرى تخالف وعدم تشابه بين الصوتين؛ لأنهما يختلفان في نوع الصوت، وأما في الكلمات فقد ذكرنا أن الذوق العربي والفصاحة اللغوية قد حددت معايير لتجاور الألفاظ في تكوين الشعر أو النثر الأدبي، وأن الخروج عن ذلك سيولد التنافر بين الألفاظ[٣] ومن جهة ثانية في الألفاظ فإن القواعد النحوية قد تتحكم في العلاقات بين الألفاظ فقد ترفض قاعدة نحوية تشكيلاً معيناً بين لفظتين أو أكثر لكونها لم ترد على وجه من وجوه النحو العربي فيؤدي ذلك الى التنافر الشكلي بين اللفظتين ومثال ذلك عدم ورود حروف الجر قبل الفعل وكذلك لا يرد الضمير المتصل بعد (إلا) الاستثنائية، وغير ذلك كثير في النحو [٤] .

ومن جهة ثالثة فإن ثمة علاقة بين الكلمات تآلفية أو تخالفية بوساطة دلالاتها المعجمية بصرف النظر عن قضية التجاور والتنافر، فقد تتآلف الألفاظ وتتقارب لتآلف معانيها وبالعكس وهذا باب نبه إليه ابن جني في خصائصه سماه (تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني) [٥] و (تلاقي المعاني على اختلاف

(١) ينظر: المصدر نفسه: ١/١١١.

(٢) ينظر: اللغة معناها ومبناها: ٢٦٢.

(٣) ينظر: المثل السائر، ابن الاثير: ١/٤٣٧.

(٤) ينظر:الايضاح في علل النحو، الزجاجي:٧٠ ،وشرح ابن عقيل: ١/ ١٦، .

(٥) ينظر: ٢/ ١٤٧.

الأصول والمباني) [١] قال ابن جني في تقارب المعاني لتقارب ألفاظها: هذا نحو واسع في كلام العرب لا يحاط به، منه لفظة (حمس) و(حبس) فإنهما تتقاربان في اللفظ والمعنى ويكونان في معنى اشتداد الشيء وكلاهما فيه معنى المنع والتعزية [٢] .

مظاهر التآلف والتخالف اللفظي وتطبيقاتها:

لن تنتهي النزاعات اللغوية ولا التكتلات اللفظية مادامت تلتقي لأجل النظم اللغوي والإبداع الفني والأدبي ولن تتكون الوحدات الصوتية في الكلام إلا بالاتفاق والتآلف لأجل سير العملية اللغوية بسهولة ويسر، ولذلك فقد يتوافق لفظان مختلفان في التكوين اللغوي أو لا يتوافق أو يتجاذب لفظان متشابهان ويتآلفان وربما يتخالفان بحسب الظروف والنشأة اللغوية للألفاظ[٥] ولذلك تتشكل لدينا ثلاثة مظاهر من التآلف والتخالف اللفظي، وهي (تآلف مع المتشابه) و(تآلف مع غير المتشابه، أو تخالف مع المتشابه) و(تخالف مع غير المتشابه).

١ - <u>التآلف مع المتشابه</u>:

وهو أن يتآلف الصوتان بالتشابه والتجاور او يتألفان بالعلاقات المعنوية وأمثلة ذلك كثير في اللغة وسنختار بعضاً منها:

أ. الحركات القصيرة: الحركات جميعها مجهورة ومخرجها من الجوف ويكون مخرج الضمة والكسرة من اشتراك الشفتين واللسان، أما الفتحة فلا تشترك اعضاء النطق في تكوينها[٦] وهي عندما تلتقي على الحروف تتآلف إذا كانت متشابهة ومتطابقة كقولك: كَتَبَ، كُتُب، ضَرَبَ، وَعَدَ.فالتآلف والتشابه بين الحركات ولّد تآلفاً وتجاوراً لتخفيف النطق وتسهيله ولتقليل الجهد[٧]. **ب. الحروف الصحيحة:**

كما في التقاء وتآلف حرفين متشابهين تماماً كما في قوله تعالى:﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى ﴾ [الحج/٢]، فقد تآلف حرفان متآلفان لأنهما متساويان ومتشابهان وربما تآلف الحرفان كلياً وتجاذبا حتى يحدث بينهما تجاذب وادغام كما في شدّ وردّ وكثير ذلك في التراث اللغوي[٣]، وقد يتآلف الصوتان ويتحدان في المخرج ويختلفان في الصفات فيتجاذبان ويتآلفان كما في الدال والطاء حيث تقلب

(١) ينظر: المصدر نفسه: ١١٥/٢.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ١٤٩/٢.

(٥) التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه: ٣٧.

(٦) ينظر : الكتاب: ٣٤٣/٤.

(٧) برجماتية اللغة ودورها في تشكيل بنية الكلمة: د. ريم فرحان: ٢٧، والصوائت القصيرة العربية، المخارج الخصائص الصفات: ا.د نجمان رحمن حميد: ٣٧ (مجلة).

(٣) ينظر: القراءات واللهجات من منظور علم الأصوات الحديث: ١٥٥.

الدال طاء وتدغم معها فتقول في: فقد طلب: فقطّلبَ[١].

ج. بين الحركة القصيرة والطويلة:

تشترك الحركات الطويلة مع القصيرة في المخرج[٢] ولذلك قد ينشأ بينهما تآلف، فنحن نعلم أن الحركات الطويلة تتآلف مع الحركات التي من جنسها، فالياء تألف الكسرة قبلها، والألف تألف الفتحة، والواو تنسجم مع الضمة مثل القاضِي، وكَاتِب ويَقُول.

د. الألفاظ

وتشمل الأسماء والأفعال والحروف، إذ يتشكل في هذه الألفاظ ثنائيات، ومنها ثنائية التآلف بالتجاورات المتشابهة أوتتكون الثنائية بالعلاقات المعنوية بين المتألفين اذ تتألف المعاني وتتقارب لتقارب اللفظتين وتشابههما.

أ- المجاورة:

ذكرنا سلفاً ان النقاد القدامى قد حددوا مقاييس للتركيب اللغوي الفصيح الذي يألفه الذوق كأن تأتي الألفاظ حسنة متناسقة مع بعضها ومتناغمة وأن تكون جارية على الأعراف اللغوية الصحيحة في التركيب وبعيدة عن التكرار في التعبيرات النحوية وأن تتباعد مخارج حروف الكلمة عن مخارج حروف الكلمة المجاورة[٣]، فإذا جاء الكلام على هذه المعايير تآلفت ألفاظه وعُد تجاورها أمراً مقبولاً ومألوفاً ذوقاً، ولذلك ينبغي التنبه الى خطورة استعمال وتنظيم الألفاظ مع بعضها لما تتضمنه من شحنات يمكن أن تتنافى وتتنافر بينها، فيجب إدراك ذلك قبل وضعها في أماكنها في النظم أو الكلام[٤] وتطبيق ذلك كثير في الأدب من شعر ونثر وغيرهما.

ويمكن أن يشكل السبك النحوي والاسناد ثنائية أُخرى بين الألفاظ عندما تدخل في نظم الكلام كما ذكرنا، فمثلاً يمكن أن يحدث تآلف بين اسمين وتبقى العلاقة بينهما ممكنة فقد تحصل بينهما الاضافة التي هي من علامات الاسم، فتقول: طالب الصف، أو نور الشمس[٥]، فهو تآلف بالمجاورة والاضافة وآخر بالمشابهة فكلاهما اسم ومن هذا كثير في كتب النحو.

٢- العلاقات المعنوية:

- يشكل المعنى هنا ركناً من أركان الثنائية بين الألفاظ مقابل التقارب بين حروف الكلمة مع الأُخرى أو تطابقهما، وقد نبه ابن جني الى أن هناك علاقات دلالية بين الألفاظ تحت عنوان (تصاقب الألفاظ

(١) ينظر: اللهجات العربية والقراءات القرآنية، د. محمد خان: ١٦٤.

(٢) ينظر: المقتضب، المبرد: ١٥٦/١.

(٣) ينظر: سر الفصاحة: ٦٦.

(٤) ينظر: نظر الجاحظ في فهم وذوق النص القرآني والحديثي، مصطفى الصاوي الجويني: ١٤٧ (مجلة).

(٥) ينظر: جامع الدروس العربية، مصطفى الغلاييني: ١١/١.

لتصاقب المعاني)[١] والتصاقب هو التقارب والتآلف، ذكر أن في (هزّ) و(أزّ) تقارباً وتآلفاً قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾. [مريم /٨٣] فتأزهم أزّا: أي تزعجهم وتقلقهم، وفي الهز هذا المعنى أيضاً لكن وضعوا الهمزة لما يعقل وهم الكافرون: لأن الهمزة أقوى من الهاء ووضعوا الهاء لما لا يعقل والهاء أضعف[٢]، فتآلف الألفاظ وتقاربها أدى الى تآلف المعنى وتقاربه، وقد ذكر ابن جني أمثلة أخرى منها في (جرف) (جلف) و(حمس) (حبس)، ففي الأولى من الأمثلة تقارب دلالي لتآلف حروفهما وفي الثاني كذلك مع تقارب الميم والباء لانهما شفويتان وأيضاً قولنا: (سحل) و(صهل) فالتقارب اللفظي والتآلف أدى الى التآلف الدلالي، فالسين والصاد حرف صفير والهاء والحاء حلقيان وفي تقارب الأصول الثلاثة للكلمتين وتقارب الدلالة وتآلفها قولنا: (زأر) و(صهل)، فالصاد والزاي حرف صفير، والهاء والهمزة حلقيتان والراء ذلقية واللام أيضاً[٣].

وقد تتآلف الألفاظ لتآلف أبنيتها الصرفية وتشابهها وتتقارب في المعاني ذكر سيبويه أن صيغة فَعَلاَن تأتي لمعنى الاضطراب في عدد من المصادر مع الحركة ومنه الغثيان والغليان والوهجان[٤].

ومنه أيضاً ما سمّاه ابن جني بالاشتقاق الأكبر، وهو أن تشتق من الكلمة أصولاً ثلاثية أخرى معتمداً على تقاليب الحروف مثل: ك م ل، ك ل م، م ل ك، م ك ل، ل م ك، ل ك م، وهذه تتآلف في الدلالة وتشترك في المعنى لتقارب وتآلف اصولها[٥].

٢- <u>التآلف مع غير المتشابه أو التخالف مع المتشابه</u>:

ذكرنا في النوع الأول من الثنائية أن التآلف والتماثل بين الأصوات أو الألفاظ يؤدي الى التآلف والقبول، إلا أن في مواضع أخرى قد يولد التآلف تخالفاً وتنافراً بين الألفاظ، لأن السياق في هذا الموضع قد تترتب عليه صعوبة أو جهد؛ لأن العرب قديماً كما نوهنا كانوا يكرهون الأمثال المتوالية ويألفون توالي الأشتات، وإذا حدث ذلك فإنهم يعدلون أحد الحرفين الى مخرج الحرف الآخر أو يعدلون الى طريقة أُخرى ليباعدوا بين الأمثال المتوالية[٦] فالأصل في حروف العلة التصحيح لكنهم يعدلون عنها الى الاعلال وخصوصاً اذا تجاور حرفان من حروف العلة والأصل التقاء الساكنين لكن يعدل عنه الى التخلص بالتحريك والأصل في عدد من الحروف المتشابهة التجاور لكن يعدل عنها بالإبدال وهكذا وكله

(١) ينظر: الخصائص: ١٤٧/٢.

(٢) ينظر: الخصائص: ٢/ ١٤٨.

(٣) ينظر: م.ن: ٤٩/٢-٥١.

(٤) ينظر: الكتاب: ٢/ ٢١٨، والخصائص: ١٥٤/٢.

(٥) ينظر: الخصائص: ١٣٥/٢.

(٦) ينظر: الاصول – دراسة ابيستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب: ١٣٥، جمهرة اللغة، ابن دريد: ١/ ١١ وظاهرة كراهية توالي الأمثال في العربية، عبد القادر مرعي:١٥/١٤(بحث).

يخضع لقانون المماثلة والمخالفة لأجل التيسير والسهولة في النطق ودوامه [١]

أ. الحركات القصيرة:

وغالباً ما يحدث ذلك في تلاقي الضمتين؛ لأن الضمتين ثقيلتان فكرهوا تجاورهما كما يكرهون الواوين والضمة بعض الواو[٢].

وكذلك في الكسرتين قال ابن جني في جمع فُعلَة وفِعلَة: فُعُلات بالضم مثل غُرُفات، فِعِلات بالكسر فيستثقلون توالي الضمتين أو الكسرتين فيعدلون الى الفتح فيقولون غُرْفات وكِسْرات أو الى السكون غُرفات وكِسرات ومثلهما يقولون في سُرُر – سُرَر، وفي رُسُل – رُسل بالتسكين وفي جُدُد – جُدد[٣]، فالحركات المتشابهة والمتآلفة تتخالف وتتنافر فتتغير للتخفيف.

ب. الحركات الطويلة:

يكون ذلك في الألف والواو والياء فإذا اجتمع حرفان متآلفان بالتشابه من هذه الحروف فإن اللسان يستثقل ذلك أو يمتنع من النطق بهما فلا تتجاور ألفان أبداً، فهو تخالف مع المتجاورات المتشابهة وكذلك فإن العرب تكره تجاور الواوين، وتستثقل توالي اليائين، فتعدل عن أحدهما الى حرف آخر، ذكر سيبويه في قَوُول: أنهم قد كرهوا الواوين والضمة في الأولى فلجاؤوا الى قلب الواو الى همزة للتخلص من الثقل في النطق، ومثلَه مؤنة وذلك فإن هذه الواو الأولى ضعيفة، واذا أبدلوا الواو وهي مفتوحة فإبدالها وهي مضمومة أولى لأنها أثقل[٤]، ومثله في جمع: واصل – وواصل –أواصل، وواقي – أواقي [٥]، فالتآلف والتشابه بين الواوين أدى الى كراهية النطق وصعوبته فتخالفا بالقلب، أما في اليائين المتتابعين، فقد ورد عند ابن جني أمثلة في كتابه تحت باب العدول عن التثقيل الى الأثقل لضرب من التخفيف، وهو كثير عنده ومنه لفظة: الحَيوَان فهي من مضعف الياء وأصلها حَيَيَان لكنه عندما ثقل عليهم ذلك أبدلوا الياء واواً ليباعدوا بين الصوتين، فالتآلف بين اليائين ولد التخالف والتنافر بالقلب مع أن الواو أثقل من الياء، وكذلك الهمزة في أواصل أثقل من الواو وقالوا في: دِوّان: دِيوَان بأبدلوا الواو ياء[٦].

ج. الحروف الصحيحة:

إذا تجاورت الحروف أيضاً في السياق قد تؤدي الى التخالف والابدال لصعوبة ذلك تقول في:

---

(١) ينظر: العين: ١١/١، الأُصول: ١٤٦.

(٢) ينظر: الكتاب: ٢٣١/٤.

(٣) ينظر: الخصائص: ٦٠/١.

(٤) ينظر: الكتاب: ٣٣١/٤.

(٥) ينظر: التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه: ٤٠، وتجليات ظاهرة التخالف الصوتي في اللغة العربية، سهل ليلى: ٢٩ (مجلة).

(٦) ينظر: الخصائص: ٢٠/٣.

تَظَنّنتُ: تَظَنّيت بإبدال النون ياء[١] وقلبوا الميم راءً في خَمَّش وقالوا: خَرمَش[٢]

د. بين الحركات الطويلة والحروف:

قالوا في: قِرّاط – قيراط وفي دِنّار– دينار ومنه قراءة (إيلا)، وأصله ﴿إِلا وَلَا ذِمَّة ﴾ التوبة/٨ ، فقلبت اللام ياء للتخفيف [٣].

هـ. الألفاظ

ذكرنا أنها تحصل إما بالمجاورة أو بالعلاقات المعنوية أو ما تسمى بالثنائية المتباعدة أو المنفصلة.

١– المجاورة:

إن المجاورة في الألفاظ في النظم اللغوي قد تشكل تخالفاً وتضاداً بين الألفاظ كما أسلفنا، فقد يخرج اللفظ عن الذوق العربي السليم فيكون ضعيفاً في التآلف وقد ذكر النقاد بعضاً من ذلك ومنه قول المتنبي[٤]:

ولا الضِعفُ حَتَى يتبعَ الضِعفُ ضِعفَه

ولا ضِعفِ ضِعفِ الضعفِ بل مثلُه ألفُ

فهذا التكرار والتجاور والتآلف في لفظة (ضعف) شّكل تخالفاً وتنافراً ذوقياً لدى القارئ أو السامع.

أما في القواعد النحوية فإن ثمة علاقات تحكمها أصول ثابتة، لا يمكن العدول عنها مثال ذلك فإن حروف الجر لا يمكن أن تتجاور وتدخل إحداها على الأخرى فهي متآلفة بالتشابه بوصفها حروف جر، لكنها متخالفة ولا تتلاقى مطلقاً؛ لأنها لا تعمل مع بعضها وكثير من ذلك في كتب أصول النحو.

٢– العلاقات المعنوية:

قد تتقارب المعاني وتتآلف على تخالف مبانيها، وهذا باب واسع في اللغة ذكره ابن جني في خصائصه وعنوانه: تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني[٥] من ذلك قولنا: خلق، سجى، جامع، غرز، سلق[٦] وهذا ما يسمى بالترادف عند اللغويين[٧] وهذا واسع في المعجم لا يكاد يحصى.

وعلى عكس ذلك فقد تتآلف المباني وتتشابه بإختلاف المعاني، وهذا الأمر أيضاً كان معروفاً لدى

---

(١) ينظر: الكتاب: ٤/٤٠٤.

(٢) ينظر: تكملة ما تلحن به العامة، أبو منصور الجواليقي: ١٣٤–١٣٩.

(٣) ينظر: المقتضب: ١/٢٤، والمحتسب، ابن جني: ١/٢٨٣.

(٤) ينظر: شرح ديوانه: ١٧٤.

(٥) ينظر: ٢ / ١١٥.

(٦) ينظر: المصدر نفسه: ٢/١٢٠.

(٧) ينظر: المزهر في اللغة، السيوطي: ١/ ٤٠٣، وفي اللهجات العربية، د. ابراهيم أنيس: ١٩٥.

اللغويين، وقد كتبوا فيه بعنوان: اتفاق المباني وافتراق المعاني[١] فمثلاً كلمة (حلم) عند ابن فارس تأتي على ثلاثة معانٍ مفترقة منها عدم العجلة والآخر أن تثقب الشيء والآخر الرؤية في المنام ومثلها في (دول) وهو أن يتحول الشيء من مكان الى آخر، والثاني يدل على الاسترخاء والضعف[٢] وأيضاً من أمثلة التآلف في المبنى والتخالف في المعنى المثلث اللغوي فإن اللفظة تأتي على أكثر من معنى، وهي على مبنى واحد كما في البُر، البَر، البِر[٣] فإنها متآلفة في حروفها ومتخالفة في حركاتها ومعانيها.

وقد يؤدي التآلف والتقارب الى التخالف والتشتت فإذا جردنا المعاجم اللغوية نجد عدم ورود الألفاظ على حروف متقاربة في الكلمة الواحدة، إذ لا تجتمع مثلاً حروف الشفة (ب، ف، م) مع بعضها وكذلك لا تتجاور مثلاً السين والزاي أو التاء والثاء في لفظة واحدة وكذلك الجيم والظاء[٤] فهي تتقارب وتتآلف في الصفة أو المخرج لكنها تفترق ولا تتشكل متجاورة في بنية واحدة.

٣- التخالف مع غير المتشابه:

وهو أن تتخالف الألفاظ وهي غير متشابهة أو متقاربة، فإذا كانت العرب تهرب من تجاور الألفاظ المتشابهة والمتآلفة للتخلص من الثقل الحاصل بينها، فإن العرب أيضاً قد تخالف بين المتخالفين للتخفيف في النطق؛ لأنه ليس كل صوت يجاور آخر من مخرج مغاير قد ينسجم مع الآخر؛ لأن طبيعة تكوين الأصوات من صفاتها ومخارجها قد لا يحقق بينها الانسجام عند النطق فبعض مخارج الأصوات لا يمكن أن تتحول مباشرة بعد النطق الى مخرج آخر حتى لو كان صوتاً مغايراً لكنها في مواضع أخرى ربما تنسجم معه وهكذا[٥] ولذلك تظهر لنا صعوبة في نطق عدد من هذه التجاورات، وتشمل:

أ. الحركات القصيرة:

لقد كره العرب قديماً نطق الضمة قبل الكسرة؛ لأنه يشكل ثقلاً عند المتكلم كما في عُصِر، لأنهم استثقلوا الياء مع الواو، وذكر سيبويه أن هذا بناء ليس من كلامهم، ولذلك أهملوا صيغتي (فُعِل) و (فِعُل) في بناء الأسماء وصياغتها كما أنهم لم يقبلوا فُعِل في أفعالهم الا في الثلاثي المبني للمجهول[٦] ومنه أيضاً مع الضمير قالوا في ضَرَبتِهُ: ضَرَبتِهِ، وفي بِرِجلِهُ: بِرِجلِهِ، وقالوا في: بِهُنَّ: بِهِنَّ، وبِهُما: بِهِمَا[٧]، فالحركات المتخالفة أدت الى التخالف بينها والتنافر للثقل في نطقهما وقد تتخالف الفتحة والكسرة

(١) نظر: اتفاق المباني وافتراق المعاني، سليمان صديق: ١٦٣.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة: ١٢١، ٣٠٥.

(٣) ينظر: المثلث اللغوي، البطليوسي: ٨٨/١.

(٤) ينظر: دراسات في علم اللغة، كمال بشر: ١٩٦.

(٥) ينظر: التطور اللغوي: مظاهره وعلله وقوانينه: ٢٢.

(٦) ينظر: الكتاب: ٢٣١/٤، ومعاني القرآن، الفراء: ١٢/٢، ١٣.

(٧) ينظر: معاني القرآن: ١٣/٢، والتطور اللغوي: مظاهره وعلله وقوانينه: ٣٤.

والكسرة وتتنافر فيُلجأ الى حذف الكسرة والتسكين ولذلك حذفوا الكسرة في فَخِذ وكَبِد، وقالوا: فَخذْ وكَبدْ، وذلك لأن العرب استثقلوا أن يذهبوا من الأخف الى الأثقل لأن الفتحة أخف من الكسرة فحذفوا الكسرة طلباً للخفة[١].

ب. بين الحركة القصيرة والطويلة:

فالحركات القصيرة قد تتخالف إذا جاورت الحركات الطويلة وحروف العلة التي ليست من جنسها؛ لأنها مختلفة عنها، فلا يتحقق التجاذب والتجاور، وعليه فقد قلبوا الواو ياء في لفظتي مِوعَاد ومِوزان وقالوا مِيعاد ومِيزان فالكسرة لا تتآلف الا مع الياء التي بعدها[٢].

ج. الحروف:

كثيراً ما تتخالف الحروف المختلفة والمتخالفة فمثلاً قد تخالفت النون والباء في عدد من الألفاظ فلفظة عنبَر مثلاً تخالفت فيها النون الساكنة مع الباء المفتوحة وهما متخالفتان في تكوينهما[٣] ولذلك تقلب النون ميماً ومثل ذلك في مِنبَر وأكد ذلك سيبويه عندما ذكر أن النون الساكنة لا تقع قبل الباء في كلمة واحدة[٤]. وقد يؤدي التخالف بين الحروف غير المتشابهة تالفا بالتطابق الكلي والإدغام منه قولهم في مهردم: مهدّم فقلبوا الراء وهي متخالفة مع الدال قلبوها دالاً ومثله قلب النون جيماً في الاترنجة قالوا: الاترجّه وهذه عندهم أخف وأيسر[٥].

د. الألفاظ:

١. المجاورة:

ذكرنا أن ثمة ترابطاً بين ألفاظ اللغة شكلت قواعد ثابتة منذ ولادة اللغة وتكوينها وهذه الترابطات النحوية قد لا تُسوغ تقارباً أو تجاوراً للمتخالفات أبداً، من ذلك عدم دخول نون التوكيد على الأسماء أو الحروف فهما متخالفان؛ لأن هذه النون حرف، وهذه أسماء وغير ذلك كثير في قواعد النحو[٦].

---

(١) ينظر: الكتاب: ٤/ ٢٣١.

(٢) ينظر: سر صناعة الاعراب: ٢٢/١، ومبدأ التجاور الحركي وآثره في تغيير قيم الصوائت، د. مشتاق عباس معن: ٥٧ (مجلة).

(٣) ينظر: نظرية الانسجام الصوتي وآثرها في بناء الشعر –دراسة وظيفية تطبيقية في قصيدة (الموت اضطرار) للمتنبي:١٩٧(رسالة).

(٤) ينظر: الكتاب:٤٥٥/٤، والفروق بين الحروف الخمسة، عبد الله بن محمد البطليوسي:٧٣.

(٥) ينظر: الفروق بين الحروف الخمسة: ٧٣.

(٦) ينظر: جامع الدروس العربية: ٦٧/١.

٢. العلاقات المعنوية:

وتنشأ هذه الثنائية عندما يُكوّن التخالف اللفظي في الكلمة تخالفاً دلالياً وهذا في أكثر ألفاظ اللغة فإختلاف المعاني لإختلاف ألفاظها فمثلاً معنى (رزن) هو الثبات والتجمع[١]، و(شرف) يدل على الارتفاع والعلو[٢]، فالتخالف اللفظي أدى الى التخالف الدلالي.

أثر الثنائيات في التكوين اللغوي:

إن الرفض والتنافر المؤديين الى التغيير اللفظي والانسجام اللغوي في عدد من الثنائيات يجعل اللغة تتحرك وفق تعبيرات فنية داخلية دونما عمد لتشكل جماليات وتناغمات لاحصر لها، وهي تبرز هذه الجماليات كما يبرزها الرسام في تعدد جماليات لوحته بالألوان المتناسقة، بمعنى أن اللغة هي ليست ضم الشيء الى الآخر أو ضم الكلام كيف ما جاء، وإنما يكون متسقاً كما هو الحال عند النساج، بحيث لو تغيرت وحدات صناعته لتغير الجمال المبتغى والكمال المرتجى في النسج والتناسق[٣] ومنه أيضاً أن تأتي ألفاظك ومعانيك وفق ما يقتضيه علم النحو من قوانين وأصول مختلفة، فلا إخلال في شيء منها[٤] منها[٤] وهذا يعني أنه لابد أن ترتبط الأصوات والألفاظ اللغوية في النص مع مكوناته الاسلوبية وأن تصاغ في بنية متماسكة ومنسجمة حتى تحصل الفائدة الجمالية بدون تلكؤ[٥]، ويجعل ذلك اللغة مقبولة منطقية بعيدة عن الجمود وقد عدّ عبد القاهر الجرجاني الثبات اللغوي والتوازن اللفظي مؤثراً قوياً في جماليات الألفاظ[٦] وهو من شروط الفصاحة اللغوية؛ لأنه يضفي على الكلام السهولة والجودة في التناسق والسبك[٧] ولذلك فإن اللجوء الى هذه الصورة اللغوية المقبولة والفصيحة لابد من وجود النزاع الصوتي والتبدلات اللغوية عندما تلتقي وتتقارب معاً، وهذا يشكل ضرباً من التغييرات المحكومة بالتآلفات والتخالفات مؤدية الى الاتساع والتصرف في اللغة، لأنك تخرج من الأصول الى فروع أخرى[٨] ومن ثمّ فقد يؤثر ذلك على مفردات اللغة بالتطور والتغير بحسب البيئة والمكان، لأن التكوين اللفظي لأي بيئة ينبني على طبيعة صفات أفرادها في طريقة النطق والتلفظ مع تأثير نوع البيئة فربما ترفض بيئة نطقاً أو

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة: ٣٣٤.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٤٧٦.

(٣) ينظر: دلائل الاعجاز، عبدالقادر الجرجاني: ٨٧ –٨٨.

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٨١.

(٥) ينظر: البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، محمد العمري: ٣٥٤.

(٦) ينظر: دلائل الاعجاز: ٥٩.

(٧) ينظر: كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري: ١٤.

(٨) ينظر: الخصائص: ١/١٣٥-١٣٦.

تركيباً ما بينما تقبله بيئة أخرى بحسب لهجتها وذوق متكلميها أو بحسب تطورات داخلية ولدتها التطورات الحضارية والبيئية[١] وأما من حيث وجود اللغة وتكوينها الأول فقد كان أيضاً وفق علاقات تآلفية وتخالفية في المعجم وفي تحديد بنية الكلمة مع تقعيد النظام النحوي فتكوين ألفاظ المعجم ينبني على ما تألفه الأطباع وتستسهله الأنفس في النطق؛ لأن نشأة اللغة بالمحاكاة كان تحت نظاماً نطقياً ميسوراً ومقبولاً فقد تجنب المعجم إنشاء مادته من ألفاظ متقاربة المخارج؛ لأنها تثقل اللفظ، فمثلاً لم تتشكل الألفاظ بأصوات حلقية متجاورة إلا ما ندر[٥]، ذكر ابن جني أن أثقل الحروف تآلفاً هي حروف الحلق الستة[٦] وقد تكلم عن ذلك أيضاً ابن فارس مؤكداً أن هناك أصوات لا يمكن أن تكوّن منها ألفاظاً؛ لأنها لا تجاري قوانين التآلف لثقلها على اللسان[٧]، من ذلك مثلاً عدم التجاور في صوتي طس، سط، وظث، وشض وغيرها، وما ورد نادراً قولك: (الهعخع) وهي حروف حلقية[٨].

وأما تكوين الألفاظ في بنية الكلمة الصرفية فقد سار وفق التوافقات والتنافرات الواضحة، وتقعّد في نظامه العام وفق الانسجامات الصوتية للفظة في البناء والميزان الصرفي والحروف الزائدة والجمع والتصغير والنسب والتثنية والاشتقاق وغيرها.

وكذلك في النحو فقد وضعت ألفاظ النحو بما يقتضيه النظام العام وقواعده المتعددة من التجاورات اللفظية وعلى وفق ما يجوز وما لا يجوز وقد ذكرنا ذلك سابقاً، فالتكوين اللـــــــغوي
يخضع للعلاقات بين الألفاظ النحوية تحت قواعد ثابتة في كتب النحو وأصوله[٢].

(١) ينظر: في البحث الصوتي عند العرب، د. خليل ابراهيم العطية: ٧٦.
(٥) ينظر صناعة المعجم اللغوي (دراسة وتاليفا) :د. خديجة عبدالله شهاب، محمد أمين الضناوي: ٤٦(بحث).
(٦) ينظر: سر صناعة الاعراب: ٨١٢/٢.
(٧) ينظر: معجم مقاييس اللغة ٢١٥.
(٨) ينظر: الخصائص ١/ ١٠٤.
(٢) ينظر: الايضاح في علل النحو: ٧٠.

الخاتمة

١- إن كل ألفاظ اللغة تخضع لثلاث ثنائيات مختلفة في علاقاتها الصوتية أو التركيبية أو الدلالية وهي (تآلف مع المتشابه) و(تآلف مع غير المتشابه أو تخالف مع المتشابه) و(تخالف مع غير المتشابه) وهذه العلاقات قد تشكلت بها الأنظمة اللغوية الواسعة وهي القوانين الصوتية أو التركيبية أو الدلالية لا تنفك عن الناطق العربي منذ ولادة اللغة مع الانسان ولحد الآن.

٢- يمكن أن تتغير العلاقات الصوتية وفق قانون التآلف اللغوي طلباً للتسهيل في الكلام وهي تختلف في البيئات العربية تبعاً لحسابات المنطق الزمكاني ولكن القواعد النحوية والمعاني في الألفاظ ثابتة من بدء التكوين اللغوي.

٣- إن مخارج الجهاز النطقي هي التي تحدد قيمة الأصوات وطبيعتها وكذلك صفاتها ثم المسافات بينها فقد يتخالف صوتان متماثلان عند التجاور في موضع أو قد يتآلفان في موضع آخر وهذا يخضع كما ذكرنا الى نوع الصوت ثم الى نوع المجاورة فقد يتجاور الصوتان المتماثلان مع أصوات اخرى تؤثر فيهما تأثيراً تشتت بينهما أو بالعكس وربما تؤثر نوع الحركة فوق الحرف أو الصوت وهكذا في التركيبات اللغوية جميعها.

٤- إن الاساس الذي تنبني عليه الثنائيات اللغوية هو إما المجاورة بين الألفاظ أو العلاقات بين الكلمات التي نشأ من المعاني الدلالية الواسعة.

٥- تستقر الثنائيات الثلاث للغة استقراراً تآلفياً ثابتاً عند المجاورة بين الألفاظ، فالتآلف مع المتشابه لا يحتاج الى تغيير؛ لأنه استقرار نهائي بين الألفاظ ولكن التآلف مع غير المتشابه هو صورة لرفض العلاقة اللفظية ثم اتجاه للتغيير اللغوي الى شكل آخر انسجامي، وأما الثنائية الثالثة (تخالف مع غير المتشابه) فهي تسير الى توافق بالعدول عن الأصل وبالظواهر اللغوية، وأما العلاقات المعنوية فهي تختلف عن ذلك وكما موضح في الخطاطة الآتية:

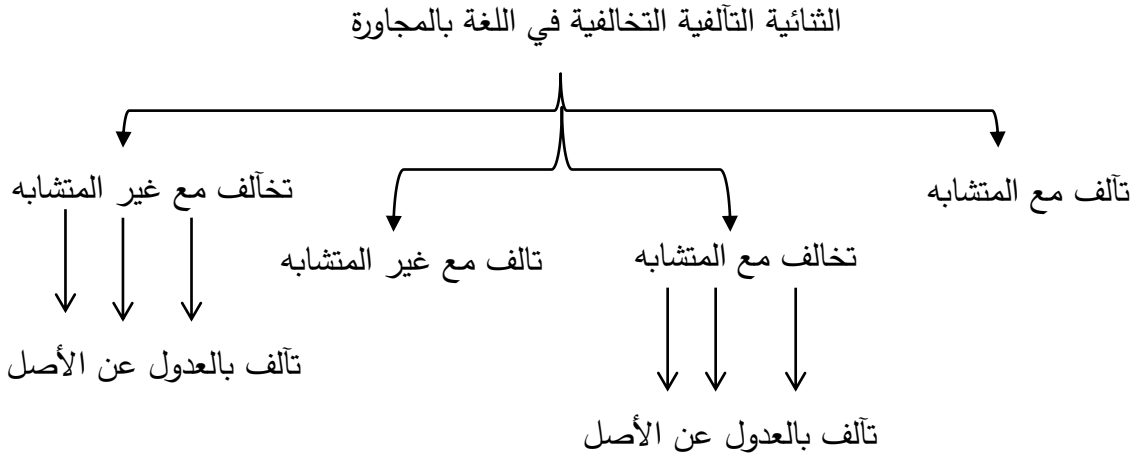
الثنائية التآلفية التخالفية في اللغة بالمجاورة
تآلف مع المتشابه
تالف مع غير المتشابه
تخالف مع المتشابه
تآلف بالعدول عن الأصل
تخآلف مع غير المتشابه
تآلف بالعدول عن الأصل

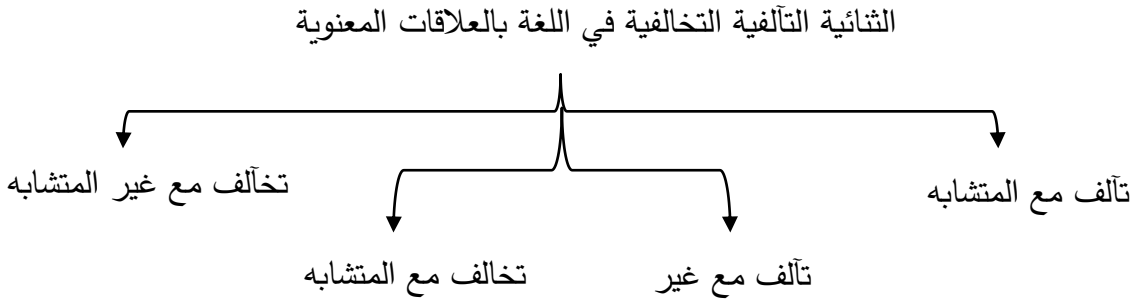
الثنائية التآلفية التخالفية في اللغة بالعلاقات المعنوية
تآلف مع المتشابه
تآلف مع غير
تخالف مع المتشابه
تخآلف مع غير المتشابه

ثبت المصادر والمراجع

أولاً: الكتب

١. اتفاق المباني وافتراق المعاني ، سليمان صديق بن حسن (ت٦١٣هـ) تح: عبدالجبار زكر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٧٨م .
٢. أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، د. عبد الصبور شاهين، مكتبة الخفاجي، القاهرة، ط١، ١٤٠٨هـ -١٩٨٧م .
٣. الأصوات اللغوية، ابراهيم أنيس، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧١م .
٤. الأصول دراسة أبيستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، د. تمام حسان، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، بغداد ١٩٨٨ م .
٥. الايضاح في علل النحو، أبو القاسم الزجاجي (ت٣٣٧هـ) تح: مازن مبارك، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط٥، ١٩٨٦م .
٦. بحوث في اللسانيات، الدرس الصوتي العربي، المماثلة والمخالفة وظواهرها في العربية الفصحى، دار الكتاب الحديث، ٢٠٠٧م .
٧. برجماتية اللغة ودورها في تشكيل بنية الكلمة، د. ريم فرحان المعايطة، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ٢٠٠٨م .
٨. البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، محمد العمري، أفريقيا الشرق، ط١، ١٩٩٩م .
٩. البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٦٥٠هـ) تح: عبدالسلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت – لبنان، (د.ت) .
١٠. التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخافجي، القاهرة، ط١، ١٩٨٢م .
١١. التطور النحوي للغة العربية، برجستراسر، أخرجه وصححه وعلق عليه د. رمضان عبد التواب، الخانجي، القاهرة، دار الرفاعي، الرياض، ١٩٨٢م .
١٢. التعادل في العربية دراسة صوتية صرفية نحوية، د. ابتسام ثابت محمد، مركز ديوان الوقف السني، العراق، ط١، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م .
١٣. تكملة ماتلحن به العامة، علي بن حمزة الكسائي (ت ١٨٩هـ) تح: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، دار الرفاعي، القاهرة، ٢٠٠٩م.
١٤. جامع الدروس العربية، مصطفى الغلاييني، ضبطه وخرج آياته وشواهده د. عبد المنعم خليل

ابراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط٩، ٢٠٠٩م .
١٥. جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن حسن بن دريد (ت٣٢١هـ)، دائرة المعارف بحيدر آباد الدكن – استانبول، ١٣٤٥ هـ.
١٦. الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٢٩٣هـ) تح، محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، بغداد، ط١٩٩٠،٤ م .
١٧. الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، د. غانم قدوري الحمد، دار عمار للنشر، عمان، ط٢، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧ م .
١٨. الدراسات في علم اللغة، كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩٨م .
١٩. دروس في علم أصوات العربية، جان كانتينو، ترجمة: صالح القرمادي، الجامعة التونسية، ١٩٦٦ م .
٢٠. دلائل الاعجاز، عبد القاهر الجرجاني (ت ٣٩٥هـ)، علق عليه: محمود محمد شاكر، مكتبة الخافجي، القاهرة، ط٢، ١٩٨٩ م .
٢١. الرائد معجم لغوي عصري، جبران مسعود، دار العلم للملايين، القاهرة، ١٩٩٢م.
٢٢. سر صناعة الاعراب، أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٢٩٣هـ)، تح: حسن هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٥ م .
٢٣. سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، شرح وتصحيح عبد المتعال الصعيدي، مطبعة محمد علي، مصر، القاهرة، ١٩٦٩ م .
٢٤. شرح ابن عقيل على ألفية بن مالك، عبدالله بن عقيل (ت ٦٧٢هـ)، دار ابن الأثير للطباعة والنشر، جامعة الموصل، العراق، الموصل، ط٢، (د.ت) .
٢٥. شرح ديوان أبي تمام إيليا الحاوي/ بيروت، ط١٩٨٢،١.
٢٦. شرح ديوان المتنبي، عبود أحمد الخزرجي، المكتبة العالمية، بغداد، (د.ت) .
٢٧. الصحاح في العربية، تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر اسماعيل الجوهري (ت ٣٩٣هـ)، تح: أحمد عبد الغفور، مصر، ١٩٥٦ م.
٢٨. علم اللغة، علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٢ م .
٢٩. علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، د. محمود السعران، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، (د.ت) .
٣٠. الفرق بين الحروف الخمسة، عبدالله بن محمد البطليوسي (ت ٥٢١هـ)، دار المأمون للتراث، ط١، ١٤٠٤ هـ – ١٩٧٤م .
٣١. في البحث الصوتي عند العرب، د. خليل ابراهيم العطية، سلسلة الموسوعة الصعيدية، دار الحرية، بغداد، ١٩٨٣ م .

٣٢. في اللهجات العربية، ابراهيم أنيس، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، مصر، ط٣، ٢٠٠٣م.
٣٣. القراءات واللهجات من منظور علم الأصوات الحديث، د. عبد الغفار هلال، دار الفكر العربي، مصر، ط٣،٢٠٠٥ م .
٣٤. الكتاب، سيبويه، عمرو بن عثمان قنبر (ت ١٨٠هـ)، تح: عبد السلام هارون، عالم الكتب، بيروت، لبنان، (د.ت) .
٣٥. كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ)، علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل ابراهيم، دار الفكر العربي، مصر، ط٢،١٩٧١ م .
٣٦. كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تح: . مهدي المخزومي، د. ابراهيم السامرائي، منشورات مؤسسة الأعلمي، بيروت – لبنان، ١٩٨٨ م .
٣٧. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء العكبري، (ت١٠٩٤ هـ)، قابله على نسخة خطية وعده للطبع: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ط٢، ١٤١٩ هـ –١٩٩٨ م .
٣٨. لسان العرب المحيط، محمد بن مكرم بن منظور (ت٧١١هـ)، ترتيب يوسف خياط، دار لسان العرب، بيروت، لبنان، (د.ت) .
٣٩. اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، الهيئة المصرية العامة للكتب، ط ٢، ١٩٧٩ م .
٤٠. اللغة، فندريس، ترجمة: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، القاهرة، ١٩٥٠ م .
٤١. اللهجات العربية والقراءات القرآنية دراسة في البحر المحيط، د. محمد خان، دار الفجر، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٣ م .
٤٢. المثلث اللغوي، محمد بن المستنير قطرب (ت٢٠٦هـ)، رضا السوسي، دار العربية للكتاب، تونس، ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨ م .
٤٣. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، (ت٦٣٧هـ) تح: د. أحمد الحوفي، و د. بدوي طباته، الرياض، ط٢، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م .
٤٤. محاضرات في اللغة، عبدالرحمن أيوب، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٦٦ م .
٤٥. المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٢٩٣ هـ)، تح: علي النجدي ناصف وآخران، اسطنبول،ط٢،١٤٠٦ هـ–١٩٨٦ م.
٤٦. المزهر في علوم اللغة وانواعها، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) تح: أبي الفضل ابراهيم وآخر، القاهرة، ١٩٦٦ م .
٤٧. معاني القرآن، أبو زكريا يحيى الفراء (ت٢٠٧هـ)، تح: محمد علي النجار، أحمد يوسف نجاتي، عالم الكتب، بيروت، ط٣، ١٩٨٣ م .

٤٨. معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٨م.
٤٩. مقاييس اللغة، أبو الحسن أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ)، راجعه وعلق عليه: أنس محمد الشافي، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٩ هـ -٢٠٠٨ م .
٥٠. المقتضب، محمد بن يزيد المبرد (ت٢٨٥هـ)، تح: محمد عبد الخالق عظيمة، دار الحديث، القاهرة، ١٩٦٣ م .
٥١. النكت في اعجاز القرآن، أبو الحسن علي الرماني (ت ٣٨٤هـ)، تح: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط٣، ١٩٧٦ م .

ثانياً: المجلات:

١. تجليات ظاهرة التخالف الصوتي في اللغة العربية، سهل ليلى، مجلة الادارة والعلوم الانسانية والاجتماعية، ع ٤، الجزائر، ٢٠٠٩ .
٢. صناعة المعجم العربي دراسةً وتاليفاً، د. عبدالله شهاب، د. محمد أمين الضناوي، مجلة أوراق ثقافية، كلية الاداب والعلوم الانسانية السنة الخامسة، ع ٢٦، بيروت، ٢٠٢٣م.
٣. الصوائت القصيرة العربية، المخارج الخصائص الصفات، ا.د نجمان رحمن حميد، جامعة ديالى، مجلة ديالى، ع ٧١، ٢٠١٦ م .
٤. ظاهرة كراهية توالي الأمثال في العربية، عبدالقادر مرعي، مجلة مؤتة، مج٩، ع١، ١٩٩٤م.
٥. مبدأ التجاور الحركي وأثره في تغيير قيم الصوائت، د. مشتاق عباس معن، جامعة بغداد، كلية ابن رشد، مجلة العميد، م٣، ع ٥، السنة الثانية، ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣م .
٦. نظر الجاحظ في فهم وذوق النص القرآني والحديثي، مصطفى الصادق الجويني، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، ج ٢٧، ١٩٧١م .

ثالثاً: الرسائل والأطاريح:

١. نظرية الانسجام الصوتي وأثرها في بناء الشعر – دراسة وظيفية وتطبيقية في قصيدة (والموت اضطرار) للمتنبي، نوارة بحري، رسالة دكتوراه، باشراف محمد بو عمامة، مقدمة الى كلية الآداب قسم اللغة العربية، جامعة الحاج الخضر – باتنة، ٢٠٠٩م -٢٠١٠م .